

الجارديان: تنتياهو عبء على بايدن.. والسلام مستحيل حتى يرحل



نشرت صحيفة الجارديان تقريراً أعده سيمون تيسدال يتناول فيه تداعيات دعم واشنطن لرئيس الوزراء الإسرائيلي في حربه على غزة.

ويقول الكاتب إن المعاناة الإنسانية القاسية والمؤلمة للغاية والتي لا ترحم في غزة بسبب رد إسرائيل على هجوم حماس في 7 أكتوبر ستترك أثراً دائماً على كل من يشهدها.

ضرر لا يمكن إصلاحه

وقد يتبين أيضاً أن الضرر السياسي الذي يلحقه الاشمئزاز العالمي الناتج عن ذلك بحليف إسرائيل الرئيس، الرئيس الأمريكي جو بايدن، وبالنظام الدولي القائم على القواعد بقيادة الغرب، غير قابل للإصلاح، وفقاً للصحيفة.

وكرر بايدن دعمه القوي لإسرائيل في سان فرانسيسكو الأسبوع الماضي. وقال إنه لا يعرف متى سينتهي الهجوم على غزة، حيث أفادت التقارير أن أكثر من 11 ألف فلسطيني قتلوا.

وفيما يخص مؤيدي وقف إطلاق النار، كان هذا اعترافاً مفزَعاً، نظراً للنفوذ الذي تمارسه الولايات المتحدة من وراء الكواليس على قادة إسرائيل.

وتلفت الصحيفة إلى أن الانطباع بأن بنيامين نتنياهو، رئيس الوزراء الإسرائيلي، لا يستمع حقاً للأميركيين، قد تعزز منذ هجمات حماس. ويستمر في رفض أي شكل من أشكال وقف إطلاق النار بينما تظل حماس صامدة ولم تُهزم ولا يزال الإسرائيليون محتجزون كرهائن.

وعلى الرغم من عزلتها الواضحة، رفضت إسرائيل بفظاظة قرار مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة الأسبوع الماضي الذي يدعو إلى هدنة إنسانية ممتدة باعتباره قرار منفصل عن الواقع على الأرض. ولم تستخدم الولايات المتحدة ولا المملكة المتحدة حق النقض ضد القرار، على عكس التصويتات السابقة. وأصبحت التصريحات الأخيرة الصادرة عن كلا البلدين انتقادية على نحو متزايد.

وذلك لأن الضغط على بايدن للتدخل بقوة أكبر أخذ في التصاعد - وقد بدأ في الانحناء. وأصر الأسبوع الماضي على أن وقف إطلاق النار ليس واقعيًا ولجأ إلى لغة عاطفية في التحذير من أن حماس تخطط لمزيد من الفظائع.

لكنه لم يستفسر عن أرقام الضحايا الفلسطينيين كما حدث في السابق وبدأ أنه يتقبل أن القصف الإسرائيلي كان عشوائيًا.

وبات من الواضح أن بايدن لا يتماشى مع الرأي العام الأمريكي والعالمي. ويشير استطلاع جديد إلى أن 68% من الأمريكيين يريدون وقف إطلاق النار، بينما يعتقد ما يقرب من 40% أن بايدن يجب أن يعمل وسيطاً محايداً وليس مدافعاً عن إسرائيل.

غضب عام

وأضاف الكاتب أن الغضب العام تجاه ما يحدث في غزة يزعج السياسة الداخلية لحلفاء أمريكا المقربين. ففي المملكة المتحدة، أدت قضية وقف إطلاق النار إلى انقسام حكومة كبير ستارمر المنتظرة. فرنسا وألمانيا على خلاف أيضاً.

تراجع الاتحاد الأوروبي، مثل بايدن، عن حل الدولتين الأسطوري، وأعاد تدويره باعتباره نوعاً من الدواء الشافي السحري على الرغم من الإخفاقات التفاوضية المتعددة السابقة. وقال جوزيب بوريل، مسؤول السياسة الخارجية بالاتحاد الأوروبي، للإسرائيليين: «أحد الرعب لا يبرر رعباً آخر». لكنه يفتقر إلى النفوذ.

ويركز القلق بشكل خاص على كيفية طغيان ما يحدث في غزة على الحرب في أوكرانيا. ومرة أخرى، لم ينجح بايدن من خلال تصوير الحروب في غزة وأوكرانيا على أنها صراع مشترك ضد الفوضى والوحشية، وأصر بايدن «بسلطته الأخلاقية وتضامنه الدولي مع أوكرانيا»، كما جادل المعلق فينتان أوتول.

ويوضح أوتول أن «الاقتران بين إسرائيل وأوكرانيا لم يخلق قضية أخلاقية مشتركة. لكنها كشفت عن معايير مزدوجة» - مشيراً إلى إدانة واشنطن لجرائم حرب مزعومة في أوكرانيا لكنها تلتزم الصمت في غزة.

ويرى عديد من الناس في جنوب الكرة الأرضية أن الغرب يستنكر مقتل المدنيين الأوكرانيين لكنه يتسامح مع مقتل الفلسطينيين.

ويقول الكاتب إنه وفي المعركة الموازية للرأي العالمي، من الواضح أن بايدن والغرب يخسران على جبهة غزة، موضحاً أن الغضب المطلق الذي شعرت به الدول العربية - وخارجها - من الخسائر البشرية التي لا تطاق هو أمر عميق وقد يكون له عواقب جيوسياسية دائمة وغير مواتية.

تستهدف معظم الانتقادات إسرائيلية مباشرة - «دولة إرهابية»، على حد تعبير تركيا. لكن الولايات المتحدة تتعرض أيضاً لانتقادات شديدة، على سبيل المثال، من الأنظمة الخليجية التي شجعتها على إقامة علاقات ودية مع إسرائيل، ومن دول أفريقيا ما بعد الاستعمار التي تساند نضال فلسطين.

وفي هذه الأثناء، تستغل الصين وروسيا بنشاط النفاق الغربي المتصور.

رحيل نتنايهو المُلح

وينوّه الكاتب إلى أن الولايات المتحدة ترغب في وضع حد زمني للحرب، لكن نتنايهو لن يتوقف عن إطلاق النار حتى يتمكن من الادعاء بالقضاء على حماس بالكامل - وهو أمر مستحيل عملياً. وكثيراً ما يتحدث عن «حرب طويلة». إنه أفضل أمل له في البقاء في المنصب وعدم الزج به في السجن.

ورفض نتنايهو تحذيرات بايدن، ويهدف إلى الاحتفاظ بالسيطرة على غزة إلى أجل غير مسمى. وكما هو الحال دائماً، فهو يرفض حل الدولتين. ووجد أحد الاستطلاعات أن أقل من 4% من اليهود الإسرائيليين يتقنون في مصداقية نتنايهو بشأن الحرب.

بدأت الولايات المتحدة، في وقت متأخر، في اتخاذ موقف أكثر صرامة وقد تضطر القوات الإسرائيلية، في وقت ما، إلى التحلي بمزيد من ضبط النفس.

لكن طالما أن نتنياهو يتولى السلطة، فإن بايدن والقادة الغربيين سيواجهون جداراً مستمراً من التحدي في تل أبيب يطيل المعاناة في غزة، ويضر بمصداقيتهم في الداخل، ويضر بمصالحهم في الخارج ويشكل خطراً دائماً باندلاع حرب أوسع. ويخشى المسؤولون الأمريكيون أن تنفجر الضفة الغربية قريباً.

وسواء كان السؤال هو مستقبل غزة، أو الدولة الفلسطينية، أو التهديد الإيراني أو الحكم الديمقراطي الصادق، فإن نتنياهو يمثل عبئاً، الآن أكثر مما كان عليه قبل الحرب. ولتذكير الرئيس بايدن: لا يمكن أن يكون هناك سلام بينما لا يزال نتنياهو في السلطة.